الشعور بالانتماء القومي في فلسطين تطبع، منذ وقت مبكر، بطابع خاص، طابع الانتماء الى أرض ووطن محـدّدين، يتهدّدهما، بفعل الهجرة والاستيطان اليهوديين، خطر الضياع. وهذا التمايز، في الفكر السياسي الفلسطيني، عبّر عنه، بشكل جليّ، نجيب نصار، أحد روّاد حركة مناهضة الصهيونية في فلسـطين ورئيس تحـريـر جريدة «الكرمل» التي أُصدرت في حيفا في العام ١٩٠٨، في ردّه على الانتقادات التي وجّهتها جريدة «المفيد» البيروتية الى وجهاء القدس، لأنهم، كما زعمت، لا يتبعون مثال وجهاء بيروت، ولا يركزون كل جهودهم على النضال من أجل الاصلاحات، فكتب في مقال تحت عنوان: «الجامعة العربية الفلسطينية» ما يلي: «البيروتيون يقتصرون على مطالبة الحكومة بالاصلاح، ولكنهم لا يسعون في تنظيم جامعة الأمة وحملها على اصلاح شؤونها بنفسها... ما لنا وللبيروتيين. نحن الفلسطينيين على شفا جرف، فالخطر السياسي والاجتماعي والاقتصادي يهدّدنا من كل صوب، والأمة التي تنازعنا البقاء في وطننا برهنت على كونها أمة حية قوية، تعمل لنفسها وتعتمد على نفسها... عقلاء الشعوب أدركوا ان دعائم الحياة هي صيانة المصلحة العمومية والتضامن على احكام ربط الجامعة القومية، فلماذا لا يقوم أبناء الامراء والشرفاء والكبراء والمتعلّمون والغيورون في فلسطين لعقد مؤتمر يفكّر بتنظيم جامعة عربية فلسطينية تهتم باحياء التجارة وانهاض الزراعة والتعليم؟... فلماذا لا يقوم رجال في هذا الوسط يختارون الحياة ويعملون لها، فيوجدون في فلسطين جامعة تعمل على حفظ البلاد واحيائها، فتكون عضداً للعرب عموماً وللحكومة؟...»[٨].

طبعاً، لم يكن بامكان الفكر السياسي الفلسطيني، في تلك المرحلة، ان يذهب الى حدّ أبعد من ابراز بعد خاص «وطني» للحركة العربية في فلسطين، والتشديد على أهمية اعتمادها على نفسها في مواجهة الخطر الذي يتهدّد البلاد، حيث لم تكن المعطيات القائمة، قبل اندلاع الحرب العالمية الاولى، تسمح بطرح فكرة تشكيل كيان سياسي خاص في فلسطين، أو حتى طرح فكرة الانفصال عن الامبراطورية العثمـانيـة. وعليـه، لم يكتفِ نجيب نصـار بالتأكيد على ان «الجامعة العربية الفلسطينية» التي إقترحها، كشكل من أشكال ابراز شخصية «وطنية» فلسطينية مستقلة، لن تخرج عن إطار «الجامعة العثمانية الواحدة»، بل شدّد، في أكثر من مناسبة، على ضرورة ضمان سلامة الوحدة العثمانية، ونشر العـديـد من المقـالات التي تحذّر من تأثيرات الحركة الصهيونية المتزايدة على الحكومة العثمانية الجديدة، التي تشكّلت بعد ثورة العام ١٩٠٨، ومن دسائس الصهيونيين للايقاع بين العرب والاتراك. ففي مقـال له، تحت عنوان: «الدسائس الصهيونية كالمستجير من الرمضاء بالنار»، كتب محذّراً: «بدأنا نشعر بتأثير الصهيونيين على الهيئة الحاكمة مُذ علت نغمة الترك والعرب... ان أحرار الترك سليمو النوايا وحديثو العهد في السياسة، ونعتقد ان الصهيونيون [هكذا وردت في النص] وجدوا فيهم موضوعاً قابلاً للخديعة، فأخذوا يتلاعبون بقلوبهم وبالسياسة العثمانية ويغرسون في صدورهم النفرة والكره للعرب وللعناصر الاخرى، ويوهمونهم بأن العناصر، لا سيما العرب، غير مخلصة للدولة... أمّا نحن العرب فلم نبرهن على كوننا أوفر حكمة من اخواننا الاتراك تجاه السياسة التي تهدّد سلامة المملكة. فبدلاً من ان تحملنا هذه الاحوال على زيادة التقرّب منهم لنبيّن لهم ضرورة اتحادنا واجتماع كلمتنـا، واننـا وايّـاهم مسـؤولون بدرجة واحدة عن سلامة الوحدة العثمانية...، قابلنا مخاوفهم بالاستياء وأظهرنا عدم الرضا عن أعمالهم، فازداد الاعتقاد، الذي غرسه فيهم الصهيونيون على ما نظن، بعدم اخلاصنا لهم، رسوخاً في أذهانهم، حتى خالنا بعضهم أعداء لهم، وظنوا ان لا سبيل للقضاء على آمالنا الموهومة الاّ بتسهيل الاستعمار لليهود في سوريا وفلسطين، فكانوا بهذا كالمستجير من الرمضاء بالنار»[٩].